السمعيات التي أوّلها المعتزلة وخالفوا فيها أهل السنة والجماعة

The audible hadiths that were first introduced by the Mu'tazila and in which they differed from the people of the Sunnah and the Community

م. م هبة عبد الكريم محمد الهاشمي*
Abdheba٠٥١@gmail.com

ملخص البحث

فعلم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة، وأعلاها مكانةً، وأرفعها قدراً، فإنّ شرف العلم بشرف موضوعه، ولا يوجد علم أشرف من علم العقيدة؛ لأنهُ يتعلّق بأشرف موجود وهو الله (ﷻ)، والعقيدة الإسلامية عقيدة موافقة لفطرة الإنسان، وهي عقيدة وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، مستقاة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنّة المطهّرة، تُبْعِد المسلم عن كلّ ما فيه شكٌّ أو وهمٌ، وموضوعات العقيدة كثيرة، ولها عند علماء الكلام جوانب تتمثّل بـ (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات)، ومن هنا جاء اهتمامي بموضوع: **السمعيات التي اولها المعتزلة وخالفوا فيها اهل السنة والجماعة**، ولأهميتها في العقيدة الإسلامية، فأردنا أن ابحث في جانب السمعيات، وبدأتُ بتمهيدٍ وخمس مطالب : المطلب الأول: البعث، المطلب الثاني: الميزان، المطلب الثالث: الحوض، المطلب لرابع: الصراط، المطلب الخامس الشفاعة. وقد راعيت تسلسل الأحداث في يوم القيامة عند ترتيب المطالب، وتقدم البحث بعرض ادلة صحيحة وأقوال علماء ومفسرين من الآيات الصريحة والمعتبرة، والأحاديث المشروحة المخرجة، مبتعدة عن الأدلة الضعيفة والموضوعة، وحاولت قدر الإمكان الجمع بين القولين معتمدةً على كتب اللغة والتفاسير وكتب خاصة بأهل السنة والجماعة، وكتب خاصة بالمعتزلة ثم ذكرتُ الخاتمة لتوضيح أهم النتائج.

كلمات مفتاحية: السمعيات، المعتزلة، البعث، الصراط، الحوض

* /وزارة التربية/ مديرية تربية نينوى/ قسم اربيل

The science of faith is the most noble of sciences in status, the highest in position, the most obligatory in requirement, and the most exalted in value. The honor of knowledge is in the honor of its subject, and there is no science more honorable than the science of faith. Because it is related to the most honorable being, which is Allah (□), and the Islamic creed is a creed that is in accordance with human nature. Allah the Almighty said: "And verily, We have revealed to you the Book of Allah, the Mighty and Sublime, and ... Fourth: The Path, the fifth requirement: Intercession. I took into consideration the sequence of events on the Day of Judgment when arranging the requirements. The research presented correct evidence and the statements of scholars and commentators from the explicit and reliable verses, and the explained and transmitted hadiths, avoiding weak and fabricated evidence. I tried as much as possible to combine the two statements, relying on books of language and commentaries, books specific to the Sunnis, and books specific to the Mu'tazila. Then I mentioned the conclusion to clarify the most important results

Keywords: Audio, Mu'tazila, Resurrection, Sirat, Pool

المقدمـــــة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاةُ والسّلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبهِ الطيبين الطّاهرين، أما بعد:

فعلم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة، وأعلاها مكانةً، وأرفعها قدراً، فإنّ شرف العلم بشرف موضوعه، ولا يوجد علم أشرف من علم العقيدة؛ لأنهُ يتعلّق بأشرف موجود وهو الله (ﷻ)، فموضوع علم التوحيد معرفته سبحانه وتعالى، وليس هناك أعلى من هذا العلم على الإطلاق، وقبول الأعمال متوقفة على صحّة العقيدة، فعلم العقيدة تتوقف النجاة في الآخرة، والتوحيد يمنع الخلود في النار، وهي أولى دعوة الرُّسل، فكلُّ رسول بعثهُ الله كان لأجل بيان العقيدة وترسيخها، والعقيدة تجيب على جميع التساؤلات التي تشغل الفكر الإنساني من إجابات صحيحة وسديدة، تطمئن بها القلوب وتهدأ بها النفوس، والعقيدة الإسلامية عقيدة موافقة لفطرة الإنسان وهي عقيدة وسطية لا إفراط فيها ولا تفريط، مستقاة من مصادر الإسلام الأولى: الكتاب والسنّة المطهّرة، تُبْعِد المسلم عن كلّ ما فيه شكٌّ أو وهمٌ، وموضوعات العقيدة كثيرة، ولها عند علماء الكلام جوانب تتمثّل بـ (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات)، فكانت هذه الموضوعات قد شغلت المفكرين قديماً وحديثاً؛ لأهميتها في حياة الإنسان؛ لكونها تمثّل العلاقة بين العبد مع ربّه (ﷻ) ومن هذه الجوانب المهمّة في العقيدة (السمعيات)؛ لأنّ

العقل لا يمكن أن يدركها فالغيبيات لا يعلم حقيقتها إلاّ الله (ﷻ)، فشغلت الكثير من العلماء واستوقفتهم طويلاً، فعملوا جاهدين على إثباتها والدفاع عنها، فهي ما زالت مطمعاً معزّياً لمن أراد الطعن بالإسلام وأصولهِ.

ومن هنا جاء دافعي لاختيار هذا الموضوع وهو: السمعيات التي أوّلها المعتزلة وخالفوا فيها أهل السنة، نظراً لأهمية المسألة التي سنتحدث فيها وهي مسألة تقديم النقل على العقل.

وبدأتُ بتمهيدٍ وخمس مطالب : المطلب الأول: البعث، المطلب الثاني: الميزان، المطلب الثالث: الحوض، المطلب لرابع: الصراط، المطلب الخامس الشفاعة.

وقد راعيت تسلسل الأحداث في يوم القيامة عند ترتيب المطالب، تقدم البحث بعرض ادلة صحيحة وأقوال علماء ومفسرين من الآيات الصريحة والمعتبرة، والأحاديث المشروحة المخرجة، مبتعدة عن الأدلة الضعيفة والموضوعة، وحاولت قدر الإمكان الجمع بين القولين معتمدةً على كتب اللغة والتفاسير وكتب خاصة بأهل السنة، وكتب خاصة بالمعتزلة ثم ذكرتُ الخاتمة لتوضيح أهم النتائج.

ومن الصعوبات التي واجهتها هي ندرة المصادر المهمة في هذا الشأن. ولكن بعون الله وفضله أكتمل بحثي وأرجو من الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ولا يحرمني الثواب فيه.

التمهيد:

ليس كل تفرقٍ مذموم؛ فالتفرق نوعان: تفرق مذموم: وهو تفرق في العقيدة وهذا التفرق يؤدي بهم الى النار بوصفهِ كافراً. وتفرق محمود: وهو ما كان في المسائل الفقهية وهذا يؤدي بهم الى الخروج من المذهب وليس من الملة، وهذا التفرق لصالح العباد، وقد ظهرت فرق العقيدة بتمامها وزمرها في عصر صدر الاسلام وهي كثيرة(الاشاعرة، الماتريدية، المعتزلة، الجهمية، القدرية،....الخ).[1] وسأقتصر في هذا البحث على فرقتين وهي(أهل السنة والجماعة، والمعتزلة) فكلاهما سلك طريقاً مختلفاً عن الاخر في بحث مسائل العقيدة.

اولاً: أهل السنة والجماعة:

هم جمهور المسلمين كانت طريقتهم في اثبات العقائد وتقريرها سلفية[2]، وأُطلق أهل السنة والجماعة وأُريد بهم الاشاعرة والماتريدية [3]

(1) ينظر: أَصول الدين الاسلامي, رشدي عليان: ٥٨.

(2) ينظر: أَصول الدين الاسلامي: ٢١.

(3) ينظر: العقيدة الاسلامية ومذاهبها, قحطان عبد الرحمن الدوري: ٢٠٢.

الاشاعرة: وهم أتباع أبي الحسن الاشعري ونسبهُ ينتهي إلى أبي موسى الاشعري ولد في البصرة (٢٦٠) هـ وتوفي(٣٢٤)هـ، من شيوخهِ: أبو علي الجبائي، وكان معتزلياً اربعين سنة، أما طريقته: فلم يبتدع شيئاً في الدين، بل أخذ ينتصر للآراء أهل السنة بالبراهين العقلية ويجادل مخالفيهم _المعتزلة_ اعتماداً على العقل والنقل وهو مؤيد لأقوال أبي حنيفة والشافعي.[١]

الماتريدية: وهم اتباع أبي منصور بن محمد بن محمد الماتريدي ت٣٣٣ هـ، وقد أخذ مذهب أَبو حنيفة(رحمه الله). والخلاف بين الاشاعرة والماتريدية في عشر مسائل(منها معرفة الله تعالى, أفعال العباد هل هي مخلوقة أم لا، وكذلك مسألة الايمان بالقلب فقط،...الخ).[٢]

المعتزلة: نشأت في أواخر العصر الأموي, وازدهرت في العصر العباسي، واختلف في سبب تسميتهم على أقوال: ان اعتزالهم بسبب نقاش حصل في مسألة مرتكب الكبيرة, فقال: اعتزلنا واصل, أن واصل أعتزلهم في المكان وليس فقط في المسألة، وقيل: هم جماعة من أصحاب علي(ﷺ) سمّو أنفسهم معتزلة بايع الحسن معاوية فاعتزلوا، فهم آمنوا بوجود العقل قبل الشرع وهذا مخالف لجميع الفرق[٣]، واعتمدوا على النزعة العقلية و قدرتها اللامحدودة لتكوين عقيدة يقبلها العقل المدرسي ويمكن فرضها بمنطقية مما أَدى بهم إلى تأويل بعض النصوص الدينية بطريقة مخالفة، وأصولهم خمسة(التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).[٤]

أما مكانة العقل عند أهل السنة: فهو يقف وراء الكتاب والسنة بل هو مؤيد ومحدود ومقيد بعالم الحس فقط، وعالم الغيب ليس له علاقه؛ لأن ما في العقل من أفكار هي مجموعة معلومات دخلت الى العقل عن طريق الحواس فتصل الى الذاكرة أو التخيل أو الذكاء...الخ فتكون أحكاماً؛ إذ ليس للعقل قدرة على إصدار أحكام لأمور لم يشاهدها؛ إذ أَن للعقل حدّاً ينتهي اليه كما أَنّ للبصر حداً ينتهي اليه. كما أن الحواس محدودة لا تتناول كل شيء كذلك قوة التخيل محدودة بحدود ما يصلنا بالحواس، فعقولنا لا تستطيع أن تدرك جميع الحقائق الكائنة إدراكاً واضحاً حتى لو اضطرت للتسليم بها عقلاً.[٥] فهو عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه فالغيب مصدر بمعنى غاب والشهادة

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٢٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ١٣٧

(٣) ينظر: المعتزلة واصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها, عواد بن عبد الله المُعتِق: ١٦.

(٤) ينظر: : تصور العقل عند القاضي عبد الجبار, حسني زينة: ١٨.

(٥) ينظر: العقيدة الاسلامية وأسسها, عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني: ٢٠ .

مصدر الشاهد؛ فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب.[١] ,والغيب له أقسام متعددة :منها قابل لأن يكون من عالم الشهادة ومنها ما استأثره الله بعلمه فلا يكون من عالم الشهادة، وهناك قسم آخر هناك اشياء قد تبدو للإنسان أنها من الغيب ولكن قد تكون من عالم الشهادة مثل الجن والملائكة.[٢]

أما السمعيات فهي أمور غيبية كما أنها فرعٌ من فروع العقيدة وهي جزء من الغيب الذي يسلم فيه العقل ولا دخل له فيها، وهي اليوم الاخر وما فيه من أحوال.

المبحث الأول : السمعيات التي أولها المعتزلة:

أوّل المعتزلة عدداً مما ورد في الآثار عن أحوال الآخرة فصرفوها عن ظواهرها إِعمالاً و امعاناً للعقل في التحكم في النصوص ومنها البعث والميزان والحوض والصراط والشفاعة.

المطلب الاول: البعث:

تحدث القرآن الكريم عن البعث والمعاد في عدة آيات وأن الاجسام التي في القبور هي نفسها التي تعاد يوم البعث فيبعثهم من قبورهم بأجسادهم ويحشرهم اليه فيجازي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته، فهل هو معاد من القبور بأجسادهم ام فقط تعاد الروح دون الجسد كما قالت بذلك المعتزلة.

البعث لغة: الأرسال، وأيضاً الايقاظ والتنبيه، ومنه قوله : ﴿قالُوا يَا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾، (يس: ٥٢) بعث الله الموتى اخراجهم من قبورهم أحياء، قال تعالى: ﴿وَالْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، (الأنعام: ٣٦) ويوم البعث: يوم القيامة،[٣]
ومنه قوله تعالى: ﴿ فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾، (الروم: ٥٦).

البعث اصطلاحاً: هو أحياء المخلوقين من قبورهم في يوم القيامة وذلك يجمع أجزائهم أو رد أرواحهم اليها ويسمى المعاد، أو: هو أعادة الانسان روحاً وجسداً، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام الذي لا يمكن للإنسان معرفته،[٤] قال تعالى:﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾، (الواقعة:٦٠-٦٢).

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن, محمد بن أحمد القرطبي(ت٦٧١هـ): ١٩٠.

(٢) ينظر: العقيدة الاسلامية واسسها: ٢٨.

(٣) ينظر: لسان العرب, محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور إلافريقى (ت٧١١هـ): ٢/ ٣٠٢

(٤) ينظر: شرح النسفية, عبد الملك السعدي: ١٣٢.

ويبدأ البعث بنفخة الصور، وهي نفخة الاحياء والبعث وقد سماها القرآن بالرادفة[١] قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)﴾، (النازعات:٦ – ٧) ويرادف البعث النشور: فاذا بعث الله الموتى نشرهم.[٢]

والبعث متفق عليه عند أهل الملل والشرائع السماوية بحسب أصولها الصحيحة؛ لأنه حق لاشك فيه والتسليم فيه واجب لكن الخلاف صار في الكيفية.

وأنكر المعتزلة البعث الجسماني وقالوا بالمعاد الروحاني فالمعاد بدأة أخرى ابتدأة محضة وبذلك فهم ينكرون عود الأبدان عند البعث[٣] ودليلهم قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُون(٥٢)﴾(يس: ٥٢) قال الزمخشري: من" بعثنا" السؤال عن الباعث والجواب كان مطابقاً له، والمعنى: بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأنبأ به الرسل لكنه جاء على طريقة سيئت بها قلوبكم وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه بعث النائم- بروحه وجسده- من مرقده بل بداية محضة قال تعالى ﴿عَلى أَن نُبَدِلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئكُم فِي مَا لا تَعْلَمُونَ(٦١) وَلقَدْ عَلِمْتُمْ النَشَّأَةَ الأُولَى فَلَولاَ تَذَكَّرُونَ(٦٢)﴾، (الواقعة: ٦١ – ٦٢) واستدلالهم عقلي: فالإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه الى التراب.[٤] ثم يتحول الى نبات فيتغذى انسان آخر بذلك النبات، ثم يموت فاذا بعث كانت نشأة أُخرى- بداية محضة-[٥]

وأجيب عن استدلالهم بأدلة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل:

اولاً: من الكتاب

قال تعالى:﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٢٩)﴾(الأعراف: ٢٩) ونظيره ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(الأنعام: ٩٤) و(الكاف) هنا للتشبيه و(ما) مصدرية والتقدير: تعودون عوداً جديداً

---

(١) – النفخ في الصور مختلف فيه؛ فعند القرطبي نفختان: نفخة الفزع ونفخة البعث, وعند ابن كثير: اماتة, أحياء يقوم بها كل الناس ينشرون ونفخة فزع ونفخة صعق ونفخة افاقه والذي عليه أَئمة المسلمين نفختان (نفخة الفزع والصعق, ونفخة احياء البعث). ينظر: الجامع لأحكام القرآن, ١٩٠.

(٢) ينظر: الرياض الناضرة في صحيح الدار الاخرة, أحمد مصطفى متولي: ١٤٦ .

(٣) ينظر: العقيدة الاسلامية واسسها: ٥٧ ؛ والرياض الناضرة صحيح الدار الاخرة: ١٥٨ .

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمرو بن احمد، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ): ٨٩٧.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير, حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ): ٨٩/٤؛ والكشاف: ٣٦١.

كبدئه فيحاسبكم على اعمالكم فاخلصوا بالعبادة وقيل: خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً كذلك تعودون احياء وقيل: (كما بدأكم) اشقياء وسعداء كذلك تبعثون.[١]

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨)﴾ (يس: ٧٨) "نسيَ خلقه" فهذا رد رائع على منكري البعث أي ضرب لنا مثلاً ونَسِيَ نفسه وأنه لم يكن موجوداً أصلاً و" مَن يحي العظام" فالسؤال ليس لتعيين المحيي وانما أراد الاستحالة فكان" يحيها الذي" فجعل بيان امكان الاحياء في جعل المسند اليه موصولاً لتدل الصلة على امكان أي يحيها لأنه أنشأها أول مرة فهو قادر على انشاءها مرة اخرى وتعليق الاحياء بالعظام دلالة على أن عظام الميت تحلها الحياة مرة أخرى.[٢]

ثانياً: من السنة

قال رسول الله ﷺ: ((أنكم محشورون الى الله تعالى حفاة عراة غرلاً" كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا"))[٣] والمعنى نعيد الخلق اعادة مثل الاولى، والمعنى: بدأناهم في بطون أمهاتكم حفاة عراة غرلاً نعيدهم يوم القيامة.

قال ﷺ: ((يبعث كل عبد على ما مات عليه))[٤] فالإنسان قد يبقى زماناً على الكفر ولكن ينتقل الى الإيمان ثم الى الطاعة وقد يكون العكس، فينتقل الى الكفر من الطاعة.

ثالثاً: الاجماع: وعليه أجماع سلف الامة.[٥]

رابعاً: العقل:

انَّ اعادة المعدوم الذي لم يوجد يستحيل اطلاق الاعادة عليه فلا يقال لما لم يوجد أنه معاد، لكن المعدوم بعد الوجود فلا استحالة في اعادته، فالإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية، فالأجزاء الاصلية تبقى كما هي والاجزاء العرضية تتحول. إنَّ الله أرانا كيف خلق الانسان من نطفة ومضغة وعلقة ثم من آدم ثم من تراب ولم يخلق الله تعالى شيئاً مستحسناً الا من مادة سخيفة فاذا أخرج

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٩/٤؛ والكشاف: ٣٦١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧٨-٢٧٩, والجامع لأحكام القرآن: ١٢٢.

(٣) اخرجه البخاري, كتاب الرقاق, باب كيف الحشر, ١٠٩/٨, ح(٦٥٢٤), ومسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة: ح(٢٨٦٠), ٤/ ٢١٩٤.

(٤) أخرجه مسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت , ح(٢٨٧٨) ٤/ ٢٢٠٦.

(٥) العقيدة الاسلامية ومذاهبها: ٦٤٥.

الأدمي من نطفة فالنظر لا يكون الى المادة بل الى قوة الفاعل وبالنظر الى قوته يمكن اعادة الاجزاء المتفرقة.[١]

المطلب الثاني: الميزان

من الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالميزان، الالة الحقيقة وله لسانٌ وكفتان فتوزن به اعمال العباد للإظهار مقادير اعمال الخلق خيرها وشرها وتتم المحاسبة عليها ويميل بالأعمال أمام الناس اجمع وهذا عدلٌ من الله تعالى لعباده وكي لا يظلم أحد.

الوزن لغة: يدل على ترتيب واستعانة وزنت الشيء وزناً، والزنة قدر ووزن الشيء، ومنه قام وزن النهار اذا انتصف وهذا يوزن ذاك أي يحاذيه، وهو ثقل الشيء بشيء مثله، كأوزان الدراهم، وهي المثاقيل المساواة من الحجارة والحديد،[٢] والميزان: الالة التي يوزن بها الاشياء ومنه قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(الأنبياء: ٤٧) يريد الميزان: القسط: العدل.[٣]

اذا الوزن يراد به المساواة والالة هي وزن الشيء، فهو يشمل المعنى الحسي والمعنوي.

الميزان اصطلاحاً: تقدير الاعمال بميزان أو وزن الاعمال الحسنة والسيئة، والميزان واحد على الراجح والجمع في قوله تعالى " ونضع الموازين القسط" فهو للتعظيم لكثرة ما يوزن، أو من توزن أعمالهم على وجه التفخيم.[٤]

وأجمع أهل السنة والجماعة على وجوب الايمان بالميزان وأن الاعمال نوزن به يوم القيامة، واتفقوا على أن الميزان حق ثابت وهو حسي له كفتان ولسان توزن به اعمال المؤمنين؛ اظهاراً لفضلهم وتوزن اعمال الكافرين؛ لإظهار خزيهم.[٥] واستدل المثبتون بالأدلة السمعية والعقلية.

أولاً: من الكتاب

قال تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(الأنبياء: ٤٧) فالموازين جمع ميزان) ويدل فإما أن لكل مكلف ميزان توزن به اعماله فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة أو هناك موازين للعامل

---

(١) ينظر: شرح النسفية,١٣٣- ١٣٥؛ والعقائد الاسلامية: ٢٧١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ): ١٠٧/٦

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤٤٦/١٣.

(٤) ينظر: العقيدة الاسلامية واسسها: ٦٥٧ ؛ وشرح النسفية: ١٣٥, ومفاتيح الغيب, محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفي(٦٠٦هـ): ١٦٩/١.

(٥) ينظر: العقيدة الاسلامية واسسها,٦٥٧ .

الواحد يوزن بكل ميزان صنف من اعماله او ان يكون ميزان واحد عبّر عنه بلفظ الجمع.[١] وذكر الرازي: أنّ الميزان متعددة يوم القيامة فقال: ((والأظهر اثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد والدليل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾ وقال في هذه الآية: فمن ثقلت موازينه وعلى هذا فلا يبعد ان يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر)) جميع ما ينزل بهم في الاخرة لا يكون الا عدلا فهم وان ظلموا أنفسهم فلن يُظلموا في الاخرة ومعنى وضعها: احضارها.[٢]

فيتبين من كلام المفسرين أن الميزان حسي له لسان وكفتان أي الالة التي يوزن بها ومشاهدة يوم القيامة، وأن العدل هو صفة ذلك الميزان.

ثانياً: من السنة:

في حديث النبي ﷺ : ((من احتبس فرساً في سبيل الله، ايماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة))' [٣] معنى كون روثه في ميزان العبد: ((يريد ثواب ذلك، لا ان الارواث بعينها توزن، وعن فائدة تنصيص رسول الله ﷺ، على ذكر هذه الأمور، وانها تكون في ميزان العبد)).[٤]

أما المعتزلة:

فقالت: لا ميزان ولا حساب وكل موضع ذكر الله تعالى فيه الميزان والحساب اراد به العدل؛ فالميزان لديهم معنوي غير مشاهد ومجازي وتقديري بالنسبة لهم. واستدلوا على كلامهم بالحجج العقلية مع تأويل جميع الآيات الواردة فيها ذكر الميزان بالعدل.

اولاً: حججهم النقلية:

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾(الأنبياء: ٤٧) فالمراد بالموازين العدل قال تعالى:

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٨/٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٠٣/١٤ .

(٣) أَخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً في سبيل الله: ٢٨/٤، ح(٢٨٥٣).

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري, احمد بن علي بن حجر بن ابو فضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ): ٥٧/٦.

﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَزِينُهُ﴾،(القارعة: ٦) فالموازين هنا العمل الذي له وزن، وان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنهما، خصوصاً وقد انقضيا، بل المراد أن الصمت المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن ويجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات.[١]

ثانياً: حججهم العقلية:

أن الاعمال عندهم هي اعراض ويستحيل وزنها وهي منقضية، وفرض اعادتها لا يمكن وزنها لعدم اتصافها بالخفة والثقل، انها معلومة لله تعالى ومن العبث وزنها.[٢]

وأُجيب عن استدلالهم: في قوله تعالى" ونضع الموازين القسط" وصف للموازين بالعدل؛ لأَن الميزان يكون مستقيماً فيتبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط. وقولهم أن الاعمال اعراض ولا يمكن وزنها فليس بمتعذر على الله تعالى أن يجعل من الاعمال أجساماً لها وبذلك تتصف بالخفة والثقل فالموت سيؤتى به يوم القيامة على صورة كبش فكذلك الاعمال ووزن الاعمال لا يعد عبثاً؛ لأَن الإِنسان سيرى ما قدمت يداه ولكي يعلم جزاءه دون ظلم بالكتاب او بإنطاق الجوارح، والحكمة منها ليعرف العباد بأعمالهم فلو دخل قبل وزن الاعمال ربما ظن انه يستحق منزلة اعلى، وربما ظن العاصي أن عذابه أكثر من ذنبه وليعرف الانسان المقبول من عمله من المردود أَو غير ذلك،[٣] فالميزان هنا هو المعنى المعنوي وهو العدل وهي صفة ثابتة لله تعالى.

ويتبين من ذلك أنه ممكن الجمع بين القولين فلو أخذنا الميزان على أنه العدل، كان المعنى ان الله تعالى عادل يوم القيامة وبذلك يتحقق المعنى المراد وهو: معرفة الانسان المقبول من العمل من المردود. بدليل "ولا يظلم ربك أحداً، ولو أخذنا الميزان على أَنه حسي مشاهد وتكون صفته العدل كذلك يتحقق المعنى ولكن العدل عند المعتزلة صفة ثابتة لله، والعدل عند أهل السنة هي ثابتة لله تعالى كما هي صفة الميزان الذي يزن به الاعمال، فبالجمع بين المعنيين الحسي والمعنوي يتحقق المعنى المقصود فتأخذ الناس حقوقها بالعدل سواءً كانت صفة العدل ثابتةٌ لله أم كانت للميزان.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية, صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن ابي العز الحنفي الاذرعي الصالحي الدمشقي(ت ٧٩٢هـ),: ٢٦٨.

(٢) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام, مسعود بن عمر ين عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ): ٢٠/٥, شرح النسفية: ١٣٦-١٣٧.

(٣) ينظر: شرح المقاصد: ٥/ ١٢١؛ وشرح النسفية: ١٣٧.

المطلب الثالث: الحوض

ان الحوض ثابت بالآيات المتواترة بالاحاديث الصحية- كما سأوضح بعد قليل- والواجب الاعتقاد به لكن الخلاف هل هو حوض عند الموقف كما أَثبت أهل السنة أم هو حوض بعد الصراط كما أَثبتت المعتزلة.

الحوض لغةً: الماء، او مجمع الماء ومنه حوض الرسول ﷺ، الذي يسقي امته منه يوم القيامة، والحوض الجمع والإحاطة.(١)

والحوض اصطلاحاً: هو حوض فيه ماء يكون في المحشر وهو الكوثر، ويكون بعد الموقف وقيل بعد دخول الجنة، اذ ان لكل نبي حوضاً كذلك نبينا (عليه الصلاة والسلام) ويكون ماءه ابيض واطيب من المسك ومَن شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا.(٢)

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الحوض ثابت والايمان به واجب؛ ذلك أن لكل نبي حوضاً يسقى منه أمته وإن حوض النبي عليه الصلاة والسلام اعظمها واحلاها واكثرها وروداً يسقى منه أمته والحوض ثابت بالاحاديث الصحيحة المتواترة وزمن الحوض قبل العبور على الصراط لان المقام يقتضي ذلك؛ لأَن الناس في حاجة للشرب في عرصات القيامة ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم أما النهر فهو ثابت بالكتاب في قوله تعالى ﴿إِنَا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ(١)﴾(الكوثر: ١) كما ستلحظ، هناك حوضان: الحوض الاول: في الموقف، والثاني: في الجنة (٣)، واستدل المثبتون بأدلة من الكتاب ومن السنة.

اولاً: من الكتاب

قال تعالى: ﴿إِنَا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) فالكوثر نهر في الجنة وهو حوض في الموقف.(٤)

ثانياً: من السنة

الاستدلال على الحوض عند الموقف لان السنة استدلوا به فقط بالاحاديث الصحيحة المتواترة عن انس بن مالك (رضي الله عنه) ان رسول الله (ﷺ) قال: ((ان قدر حوضي كما بين ايلة.(٥) وصنعاء من اليمن، وان فيه من الاباريق بعدد نجم السماء)) (١). وعن أنس أيضاً أنَّ: النبي (ﷺ) قال: بينما أنا

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١٢٠/٢.

(٢) ينظر: شرح النسفية: ١٤١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه:١٤١.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٣٠؛ ومفاتيح الغيب: ١٢٩/٦.

(٥) ايلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقيل: هي اخر الحجاز وأول الشام وهي مشتقة من ايلياء، ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ): ٢٩٢.

أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوّف، قلت ما هذا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي اعطاك ربك، فاذا طينه أو طيبه مسك اذفر)) [٢]، - - عن عائشة (ﷺ) قالت: ((سمعت رسول الله (ﷺ) يقول وهو بين ظهراني أصحابه: ((اني على الحوض انتظر من يرد عليّ منكم، فو الله ليقتطعن دوني رجال فلا أقولَنَّ أي رب مني ومن امتي، فيقول: انك لا تدري ما عملوا بعدك وما يزالون يرجعون على اعقابهم)). [٣]

وعن ابن عمر (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال: ((امامكم حوض كما بين جرباء[٤] واذرح[٥]))[٦] ورواه مسلم بلفظ: ((ما بين ناحيتيه كما بين حرباء واذرح)). [٧] وزاد فيه رواية: ((فيه اباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها ابداً)).[٨] والأحاديث كثيرة متواترة في الحوض قال ابن حجر بعد ما ذكر أسماء الصحابة الذين رووّا أحاديث الحوض: ((فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرين نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدتُ عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء فزادت العدّة على الخمسين... وقال: احاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وصفته بعضها، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها)).[٩]

وقد اختلف العلماء هل أنّ الحوض هو نفسه الكوثر الذي أعطي للنبي (ﷺ): ولنعلم ذلك يجب ان تعرف معنى الكوثر لغة واصطلاحاً:

فالكوثر في المعاجم العربية: هو الكثير من كل شيء... ورجل كوثر: كثير العطاء والخير.[١٠]

---

(١) اخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض: ١١٩/٨، ح(٦٥٨٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا محمد (ﷺ) وصفاته: ١٨٠٠/٤، ح(٢٣٠٣).

(٢) أَخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض: ١٢٠/٨، ح(٦٥٨١)

(٣) أَخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوص نبينا (ﷺ) وصفاته: ١٧٩٤/٤، ح(٢٢٩٤).

(٤) جرباء واذرح موضعان وقيل هما قريتان بالشام. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١٢٩/١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١٨/٢.

(٦) أَخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض: ١١٩/٨، ح(٦٥٧٧).

(٧) أَخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا محمد (ﷺ) وصفاته: ١٧٩٧/٤، ح(٢٢٩٩).

(٨) أَخرجه مسلم ، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا محمد (ﷺ) وصفاته ٧١٩٨/٤، ح(٢٢٩٩).

(٩) ينظر: فتح الباري: ٤٦٩/١١.

(١٠) ينظر: لسان العرب: ١٣٣/٥.

أما في اصطلاح العلماء، فهو: ((نهر في الجنة تتشعب عنه الأنهار، وقيل: هو الخير العظيم الذي أعطاه الله عز وجل للنبي (ﷺ))).[١]

قال تعالى ﴿إِنَا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ(١)﴾، (الكوثر: ١).

قال بعض العلماء إلى أنّ الكوثر الذي أعطاه الله تعالى للنبي محمد (ﷺ) هو حوض نبينا (ﷺ)، مستدلّين بحديثه (ﷺ) عن انس بن مالك ﷺ، ان النبي (ﷺ) قال عن الكوثر: ((نهر وعدنيه ربي (ﷻ) في الجنة عليه حوض)).[٢]

أما المعتزلة:

فقد رجحت أنه لا حوض الا بعد الصراط أي في الجنة على أن الصراط يسقط منه من سقط من المؤمنين فناسب تقديم الصراط وكذلك بالآية فقال تعالى ﴿إِنَا أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ(١)﴾ انه نهر في الجنة.[٣]

ويتبين من ذلك من استقراء النصوص الواردة فيها ذكر حوض الكوثر،

أنّ الكوثر هو الخير الكثير، وهو نهر في الجنة كما فسّره أكثر العلماء، أمّا عن علاقته بالحوض فهي أنّ الحوض الذي يكون خارج الجنة يستمد ماؤه من نهر الكوثر الذي يكون داخل الجنة ولا تعارض بينهما.

أن حوض الكوثر يكون في الجنة، ونهر الكوثر: نهر يكون منبعه أو منابعه في الجنة، أو قد يمكن الجمع بين القولين فيكون الحوض في الموقف قبل الصراط ويكون الشرب فيه لقوم، والحوض الذي في الجنة لقوم آخرين بسبب ما عليهم من ذنوب بالعذاب في النار. والواجب اعتقاده أن النبي ﷺ، له حوض تقدم على الصراط أو تأخر لا يضر الجهل به.

المطلب الرابع: الصراط

الايمان به واجب ولكن الخلاف حاصل في من سيرد ويعبره فالمؤمنون يجتازونه الى الجنة بسرعة متفاوتة على قدر ايمانهم واعمالهم الصالحة أما المغضوب عليهم فتجذبهم كلاليب جهنم فيسقطون وهذا ما اثبته أهل السنة، أما المعتزلة فقد أولت الصراط فليس من الممكن العبور عليه لان فيه تعذيب للمؤمنين وهذا ما سنتناوله .

---

(١) المفردات في غريب القرآن, ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): ٧٠٣.

(٢) أَخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال، البسملة آية من اول كل سورة سوى براءة: ١/٣٠٠، ح(٤٠٠).

(٣) ينظر: الكشاف: ١٢٢٤.

الصراط لغة : من صَرَطَ والسرط والزراط ومعناه الطريق الواضح والتحول من السين الى الطاء لقرب مخارج حروفها، ومنه سرط الطعام أذ ابتلعه ومنه المسراط البلعوم، ومنه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾،(الفاتحة: ٦) وسمي بذلك لأنه يبتلع المارة[١]

والصراط اصطلاحاً: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، أو جسر على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف يعبره أهل الجنة وتزل به أقدام أهل النار.[٢]

نلاحظ انه في الآخرة هو جسر ممدود على متن جهنم، وأما في الدنيا فهو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، فهو في المعنيين يأتي بمعنى الطريق والجسر أيضاً طريق يعبر عليه.

رأي أَهل السنة والجماعة في الصراط:

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الايمان بالصراط وقد ذكر العلماء أَن في الاخرة صراطين: الاول: مجاز لأهل الحشر كلهم، ثقيلهم وخفيفهم، الا من دخل الجنة بغير حساب او من يلتقطه عتق النار ولا يخلص منه المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لا يستنفذ حسناتهم ويكون بعد موقف الحساب فالمؤمنون يجتازونه الى الجنة بسرعة تتفاوت على مقدار تفاوت ايمانهم والاعمال الصالحة، فيحبسون على صراط آخر ثانٍ: بين الجنة والنار، ولا يرجع الى النار من هؤلاء احد لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم أما المغضوب عليهم بالعذاب فيسقطون في جهنم واستدل المثبتون بالكتاب والسنة.[٣]

اولاً: من الكتاب

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾، (مريم: ٧١ – ٧٢). أي ما منكم أحد الا وسيرد على النار فينجي المؤمنين المتقين بعد مرور الجميع عليها ويترك الظالمين قعوداً على الركب. فمعنى الورود: الجثو حواليها فالمؤمنون الى الجنة ويبقى الفجرة على هيئتهم, وقيل هنا قسم والواو تتضمنه.[٤]

---

(١) ينظر لسان العرب: ٢/ ٤٣٠.

(٢) ينظر: شرح النسفية: ١٤١.

(٣) ينظر: العقيدة الاسلامية ومذاهبها, للميداني: ٦٥٩ .

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرطبي: ١٢٦/١١, وينظر: صفوة التفاسير, محمد علي الصابوني: ٢/ ٢٢٤.

ثانياً: من السنة

قال رسول الله(ﷺ): (... ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم فيقول الرسول: فأكون انا وامتي أول من يمر) بمعنى يحمل الناس على الصراط فينجي الله من يشاء في رحمته ثم يؤذن بالشفاعة.[١]

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((يَخْلُصُ المسلمون من النار فيُحْبَسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا إذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم اهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا)).[٢]

ومن حديث ابي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: ((قلنا يا رسول الله ما الجسر؟ قال: مدخضة مزلة، عليه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان)).[٣]

رأي المعتزلة في الصراط:

إنّ المخالفين للصراط من بعض المعتزلة، لم ينكروا أصل ثبوته ولكنهم أنكروا صفته، فبعض المعتزلة وبعض المتكلمين كالقرافي والعز بن عبد السلام[٤] ذهبوا الى تأويل هذا الوصف: بان ذلك راجع الى يسره وعسره على قد الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى, وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر للغامض الخفي, وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال اوامر الله تعالى. بان اصناف السالكين فيه تمثيل لرتب المكلفين, وأنه ليس من الممكن العبور عليه لان فيه تعذيباً للمؤمنين وكذلك لاعتقادهم أن من دخل من النار لا يخرج منها.[٥] وقد استدلوا

---

(١) صحيح مسلم , كتاب الايمان, باب(معرفة طريق الرؤية): ١٦٧/١, ح (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق: باب القصاص يوم القيامة: ١١١/٨، ح(٦٥٣٥).

(٣) اخرجه البخاري، كتاب التوحيد: ١٢٩/٩، ح(٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الايمان، باب (معرفة طريق الرؤية):١٦٧/١، ح(١٨٣).

(٤) – القرافي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن الصنهاجي البهنسي المصري ونسب الى القرافة ولم يسكنها، وله تصانيف عدّة منها (الذخيرة) و(القواعد) و(شرح المحصول) و(التنقيح في الأصول وشرحه)، توفي سنة (٦٨٤هـ) ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ): ١٤٦/٦.
العز ابن عبد السلام: هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بن ابي القاسم بن الحسن شيخ الإسلام الشيخ عز الدين أبو محمد السليمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة (٥٧٧هـ)، درس وافتى وبرع في المذهب وبلغ رتبة الاجتهاد وولي القضاء في مصر، وعزل نفسه عن القضاء، ثم عزله السلطان عن الخطابة، فلزم بيته يشغل الناس ويدرس، توفي في مصر سنة (٦٦٠هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: ٣١٨/١٨-٣١٩.

(٥) ينظر: العقائد الاسلامية ومذاهبها, الدوري: ٦٧٨ .

على ذلك ﴿وَان مِنكُمْ اِلّآ وَارِدُهَاچ فالورود هو الدخول في جهنم ولكنها تكون للكافرين والكلام موجه لهم فقال منكم.

ومن خلال الاحاديث الواردة وغيرها من الاقوال، يرى ان مرور الناس على الصراط لهم أحوال مختلفة، وتختلف من شخص إلى اخر، وهي:

١- قسم يمر على الصراط كطرف العين، وهؤلاء اعلى منزلة، ولهم اعمال صالحة كثيرة.

٢- وقسم يمر عليه البرق، وهؤلاء اقل منزلة من سابقيهم.

٣- وقسم يمر عليه كمرور الريح، وهؤلاء اقل منزلة من السابقين، وأكثر مما بعدهم.

٤- وقسم يمر كأجاويد الخيل، وهي اول درجات الضعف في المرور على الصراط.

٥- وقسم اخر كأجاويد الركاب. أي الخيل والابل وغيرهما.[١]

٦- واخرون من يجروا يد وتعلق يد، يجرّ قوماً وتعلق أخرى فيكون عبورهم الصراط بمشقة.

وقسم يمرون عليه زحفاً، واخرون يسحبون سحباً.

- كذلك يتبين لنا من خلال المعنى اللغوي وما ذكرى من نصوص بأن الله تعالى يجعل عبوره سهلاً للمؤمنين فهو الطريق الواضح؛ فالمؤمنون دخولهم دخول سلامة فمنهم من يعبره كالبرق ومنهم كالريح كما وضحت فهم يمرون على الصراط ولا حاجة لمن يهديهم الى الطريق وينتهي بهم الى الجنة, وهو دخول للكافرين من بقي فتبتلعه النار او تتجاذبه كلاليب جهنم الا بشفاعة من النبي محمد (ﷺ) التي سأبحث فيها بالمطلب القادم إن شاء الله.

المطلب الخامس: الشفاعة

إن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وهي خاصة بالنبي محمد (ﷺ) فمن سيكون شفيعه النبي عليه الصلاة والسلام وهل ستكون لكل امة محمد بما فيها العاصي ومرتكب الكبيرة وتكون له نجاة من النار أم ستكون للمؤمنين لرفع درجاتهم في الجنة، هذا ما كان عليه خلاف أهل السنة والمعتزلة.

الشفاعة لغة: ضم مثله اليه، وجعله زوجاً، أو يدل على مقارنة الشيئين، وناقة شافع أي معها ولدها، وهي ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك، واستشفع طلب الناصر والشفيع، والشافع: صاحب الشفاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ(٣)﴾،(الفجر: ٣) قال أهل التفسير الشفع : الخلق، والوتر: الله تعالى.[٢]

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٤٢٩/١.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٣/ ٢٠١.

والشفاعة اصطلاحاً: التوسط للغير يجلب منفعة أو دفع مضرة، وهي على التحقيق اظهار منزلة الشفيع عند المشفَّع وايصال منفعته للمشفوع. او التوسط بين اثنين هو شفاعة الانبياء لأهل الكبائر. أو هي شفاعة رسول الله ﷺ، في يوم القيامة لأهل الكبائر بعد انتهاء مدة عذابهم فيشفع له بالخروج من النار لان المؤمن لا يُخلد في النار.[١]

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الشفاعة بكل انواعها ثابتة بالكتاب والسنة للمؤمنين بظهور رواياتها المتواترة واقرارهم على صحتها وقبولها دليل على صحة عقيدة أهل الحق وفساد عقيدة المعتزلة. ولنبينا محمد (ﷺ) شفاعات كثيرة فكل مسلم يطلب من الله تعالى ان تناله الشفاعة لاعتقاده انه غير سالم من الذنوب ولا قائم بكل ما فرضه الله تعالى عليه بل الكل معترف على نفسه بالنقص لذلك يخاف العقاب ويرجوا النجاة، وقد قسم العلماء الشفاعة خمسة:[٢]

١- الشفاعة العظمى وهي لجميع الخلائق وتكون بإراحتهم بين الموقف وتعجيل الحساب.

٢- الشفاعة في دخول قوم الجنة بغير حساب.

وهذان القسمان خاصان بالنبي (عليه الصلاة والسلام).

٣- الشفاعة بزيادة الدرجات في الجنة لبعض اهلها.

٤- الشفاعة لقوم استوجبوا النار وهم من اهل الايمان, فاذا قبل منهم الشفاعة عفا عنهم فلا يدخلوها.

٥- الشفاعة في اخراج بعض المذنبين من النار, وهم من اهل الايمان وذلك قبل استيفائهم العذاب المقرر حسب العدل.

واستدلوا بأدلة نقلية وعقلية ومنها

اولاً: من الكتاب:

قال تعالى:﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَاً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(٤٨)﴾، (البقرة: ٤٨) ونظيره ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ(١٨)﴾ (غافر:

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٤٢١؛ وشرح النسفية: ١٥٨ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن, ١/ ٤٢٣؛ و العقيدة الاسلامية واسسها: ٦٦٤ .

١٨) أي النفس الكافرة لا كل نفس، فالآيتان تدلان أن الكافر ليست له شفاعة ليخرج من النار، فمعنى " الظالمين" الكافرين، فالكفر هو أكبر أنواع الظلم.[١]

ثانياً: من السنة:

عن عبد الله (ﷺ) عن النبي ﷺ، أنه قال:((أني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تبارك وتعالى اذهب فادخل الجنة)).[٢] أن أناسا قد اذنبوا فدخلوا النار ثم يشفع لهم فيخرجوا فهذه الشفاعة للمذنبين من المؤمنين.

أما المعتزلة

يقول القاضي عبد الجبار[٣]: ((لا خلاف بين الامة ان شفاعة النبي ﷺ، ثابتة للامة وانما الخلاف في انها تثبت لمن؟... ثم قال فعندنا تكون ثابتة للتائبين من المؤمنين)) فهنا يتبين رأي المعتزلة انها فقط للتائبين من المؤمنين اما اهل الكبائر فهم ينكرونها؛ لان أثبات الشفاعة لهؤلاء يخالف مبدأ الوعد والوعيد، وبناءً على هذا فان مرتكب الكبيرة اذا لم يتب فهو عندهم فاسق وليس بمؤمن وهو يخلد في النار ولا يخرج منها، وتكون الشفاعة لدى المعتزلة لرفع الدرجات في الجنة فقط[٤], وأدلتهم على ذلك كثيرة:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٤٢٢/١.

(٢) أخرجه البخاري, كتاب الرقاق, باب صفة الجنة والنار, ح(٦٥٧١),٨/ ١١٧, ومسلم, كتاب الايمان, باب اخر اهل النار خروجاً, ح(١٨٦), ١٣٧/١.

(٣) القاضي عبد الجبار: بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل ، العلامة المتكلم ، شيخ المعتزلة ، أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف ، من كبار فقهاء الشافعية. قد ألف عبد الجبار كتبًا كثيرة وصل إلينا: «شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة» في أجزاء عدة شرحًا مستفيضًا مسهبًا، يبين أصول المعتزلة ونظراتهم في إسهاب، ونقلت عنه أقوال كثيرة كان يحاج بها الشريف المرتضى. سير اعلام النبلاء, شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ): ١٧/ ٢٤٥.

(٤) ينظر: المعتزلة واصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها, عواد عبد الله: ٢٣٦.

اولاً: من الكتاب

- قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمَاً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(٤٨)﴾ (البقرة: ٤٨) تدل على من استحق العقاب لا يشفع له النبي ﷺ، فنفى الله تعالى قبول الشفاعة للعصاة.

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ (غافر: ١٨) فالظالم لا يُشفع له.[١]

ثانياً: ادلة عقلية:

- إن العقوبة تكون على الدوام فكيف يُخرج الرسول الفاسق من النار.
- تقول المعتزلة من جملة ادعيتهم واجعلنا من أهل الشفاعة أو شفاعته. فلو كان للشفاعة باستحقاق الذي خرج من الدنيا مصراً على كبائر.[٢]

وهذا باطل؛ لأَن دوام العقوبة هو عام وادلة اثبات الشفاعة لأهل الكبائر خاصة والخاص مقدم على العام فوجب القطع بان النصوص الدالة على الشفاعة مقدمة على النصوص العامة. ويقول الله تعالى فقد أتت المغفرة لمن شاء له ذلك.

فالشفاعة هنا لا دخل لها لأن الله وعد المؤمنين برفع درجاتهم، أما الشفاعة فتكون لمن فعل الكبائر أو استوجب دخول النار.[٣]

يتبين لنا ان شفاعته (ﷺ) لأهل الكبائر من امته ممن دخل النار فيخرجون منها ثابتة بورود نصوص قرآنية واحاديث متواترة وصحيحة دالة عليها، ولا يخلو قبول شفاعته او رفضها من حكمة يعلمها الله تعالى وتدخل في قانون فضله ام عدله.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه : ٢٣٧- ٢٣٩, والكشاف: ٧٦.

(٢) ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة: ٢٣٦؛ ومفاتيح الغيب: ٣/ ٦٥.

(٣) ينظر: العقيدة الاسلامية واسسها: ٦٦٣.

الخاتمة

الحمد لله الذي عمّ فضله للعالمين وأنزل الكتاب وجعله هدىً للمتقين والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ، وعلى آله وصحبهِ أجمعين.

وبعد

أهم ما توصل اليه البحث:

١- البعث يكون في يوم القيامة روحاً وجسداً.

٢- الصراط هو الطريق الواضح الموصل الى الجنة, وليس كما قالت المعتزلة انه الطريق المؤدي الى النار.

٣- الميزان عند المعتزلة هو العدل، وبهذا فالصفة تكون ثابتة لله تعال، والميزان عند أهل السنة هو الالة التي يوزن بها وصفته العدل ويثبتون العدل لله تعالى وللميزان، وفي المعنين الحسي واللغوي يتحقق المعنى المقصود فتأخذ الناس حقوقها بالعدل سواءً كانت صفة العدل ثابتةٌ لله أم كانت للميزان.

٤- الحوض يكون في الجنة والنهر يكون في الموقف، والنهر يكون منبعه من الحوض في الجنة, والواجب اعتقاده أن لنبينا حوض تقدم على الصراط أو تأخر لا يضر الجهل به.

٥- من خلال الاحاديث المتواترة شفاعته في أهل الكبائر من امته ممن دخل النار فيخرجون منها.

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- أصول الدين لرشدي عليا وقحطان عبد الرحمن الدوري، ط: ١،(دار الامام الاعظم-كركوك ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

- التحرير والتنوير, محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) (الدار التونسية، تونس، د.ط، ١٩٨٤هـ-١٩٨٤م).

– الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي, أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ), تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي, بيروت_ ط١, ١٤٢٧هـ_ ٢٠٠٦م).

– الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله ﷺ، وسننه وايامه=صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعبي, المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر, دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١(١٤٢٢هـ).

– الرياض الناضرة في صحيح الدار الآخرة, احمد مصطفى متولي، ط:١ (دار ابن الجوزي– القاهرة, ٢٠٠٥م).

– سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) (دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م), تحقيق شعيب الارنؤوط, (مؤسسة الرسالة– ط: ٣, ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).

– شرح العقيدة الطحاوية, صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن ابي العز الحنفي الاذرعي الصالحي الدمشقي(ت ٧٩٢هـ), تحقيق شعيب الارنؤوط, ط١٠(مؤسسة الرسالة– بيروت, ١٤١٧هـ–١٩٩٧م).

– شرح المقاصد في علم الكلام, مسعود بن عمر ين عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ), تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة, ط:٢(عالم الكتب للطباعة والنشر_ بيروت ١٤١٩هـ–١٩٩٨م).

– شرح النسفية في العقيدة الاسلامية, عبد الملك عبد الرحمن السعدي,(ط٤, ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م).

– صحيح مسلم, ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦–٢٦١هـ), تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي, (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه_ القاهرة, د.ط, ١٣٧٤هـ_ ١٩٥٥م)

– صفوة التفاسير, محمد علي الصابوني (دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، ١٤٠٢هـ –١٩٨١م).

– العقيدة الاسلامية واسسها, عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني,(دار القلم, دمشق_ بيروت, ط٢, ١٣٩٩هـ_ ١٩٧٩م).

– العقل عند المعتزلة(تصور العقل عند القاضي عبد الجبار), حسني زينة, (دار الافاق _بيروت, ط١, ١٩٧٨م).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري, احمد بن علي بن حجر بن ابو فضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ), د.ط(دار المعرفة_ بيروت, ١٣٧٩).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأَويل، محمود بن عمرو بن احمد، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ),ط: ٣(دارالكتاب العربي- بيروت ١٤٠٧هـ)

- لسان العرب, محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور إلافريقى (ت٧١١هـ) (دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣م).

- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير, محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفي(٦٠٦هـ), ط٣(دار احياء التراث العربي- بيروت).

- المفردات في غريب القرآن,ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ), تحقيق: صفوان عدنان الداودي,(دار القلم دمشق- بيروت, ط:١, ١٤١٢هـ)

- المعتزلة واصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها, عواد بن عبد الله المُعتِق,(مكتبة الرشد_ الرياض, ط٢,١٤١٦هـ_١٩٩٥م).

- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ), تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- معجم البلدان, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ), (دار صادر، بيروت،ط: ٢, ١٤٠١٠هـ-١٩٩٥ م).

- الوافي بالوفيات, صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ), تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى, (دار أحياء التراث_ بيروت, د.ط, ١٤٢٠هـ_ ٢٠٠٠م).